

سلسلة الدراسات الإنسانية

عجائب المخلوقات

للقرويني

د. عبد الحليم منتصر



الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

039

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

اهداءات ٢٠٠٢

د/محمد عبد الفتاح الغمراوي

الاسكندرية

عجائب المخلوقات

عجائب المخلوقات

للقرؤينى

د . عبد الحليم منتصر



مهرجان القراءة للجميع ٩٥
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلي

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعي والفني
محمود الهندي

المشرف العام
د. سميح سرحان

عجائب المخلوقات للقرظونى د . عبد الحليم منتصر

القرظونى

هو زكريا بن محمد بن محمود ، يصعد نسبه الى
الإمام مالك . ولد فى قزوين (بين رشت وطهران)
سنة ٦٠٥ هـ - ١٢٠٨ م ، ورحل فى شبابه الى دمشق
وتعرف الى ابن العربى ، ثم استقر فى العراق فولى قضاء
واسط والحلة فى خلافة المستعصم العباسى . وكان فى
ذلك المنصب عندما سقطت بغداد فى قبضة المغول . وتوفى
فى السابع من المحرم سنة ٦٨٢ هـ - ١٢٨٣ .

وكان - الى اشتغاله بالقضاء - معنيا بالتأليف فى
الجغرافيا والتاريخ ، وقد عرف من كتبه فيها :

١ - عجائب المخلوقات : تكلم فيه عن السموات
وما فيها - وهو علم الفلك - فوصف الكواكب والأبراج
وحرركاتها وما يترتب على ذلك من فصول السنة والشهور

عجائب المخلوقات - ♦

والأيام . وتكلم عن الأرض وما عليها - وهو من قبيل
التاريخ الطبيعى أو الجغرافيا الطبيعية - فذكر أصل
الأرض وطبيعتها ، وكرة الهواء وأصول الرياح وأنواعها ،
وكرة الماء وما فيها من البحار والجزر والحيوانات
العجيبة ، ثم كرة الأرض - أى اليابس - وما عليها من
جماد ونبات وحيوان . ورتب كلا من الحيوانات والنبات
على حروف المعجم .

٢ - آثار البلاد وأخبار العباد : فى التاريخ ، ابتداء
بعد الديباجة بثلاث مقدمات :

الأولى فى الحاجة الماسة الى أحداث المدن والقرى ،
والثانية فى خواص البلاد ، وقسمها الى فصلين :

الأول : فى تأثير البلاد فى السكان .

الثانى : فى تأثير البلاد فى النبات والحيوان .

الثالث - فى أقاليم الأرض .

ثم أفاض بعد ذلك فى أخبار الأمم الماضية وتراجم
كثير من الأولياء والعلماء والسلطين والشعراء والوزراء
والكتاب وغيرهم .

٣ - خطط مصر .

٤ - الارشاد فى أخبار قزوين .

شغف بالفلك ، والطبيعة . والنبات ، والحيوان
والجيولوجيا بنوع خاص . ويعتبر كتابه « عجائب

المخلوقات وغرائب الموجودات من أنفس مؤلفاته . كان يوصي بإدامة النظر في عجائب صنع الله ، ولامراء في انه كان مستغرقا بالنظر في آيات الله البينات في مصنوعاته ، وغرائب ابداعه في مبتدعاته ، مسترشدا بقوله تعالى : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها . وما لها من فروج » . يقول : « وليس المراد من النظر . تقليب الحدقة نحوها . فان البهائم تشارك الانسان فيه . ومن لم ير من السماء الا زرقها ومن الأرض الا غبرتها . فهو مشارك للبهائم في ذلك وأدنى حالا منها ، وأشد غفلة ، كما قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها . ولهم أعين » الى أن قال : « أولئك كالأنعام بل هم أضل » . يقول والمراد من النظر التفكير في المعقولات ، والنظر في المحسوسات والبحث عن حكمتها وتصاريفها ، لتظهر له حقائقها ، فانها سبب اللذات الدنيوية ، والسعادات الأخروية . وكلما أمن النظر فيها ، ازداد من الله تعالى ، هداية و يقيناً ، ونورا وتحقيقاً . والفكر في المعقولات لا يتأتى الا لمن له خبرة بالعلوم والرياضيات ، بعد تحسين الأخلاق وتهذيب النفس فعند ذلك تفتح له عين البصيرة . ويرى في كل شيء من العجب ما يعجز عن ادراك بعضها .

يقول أبو عبد الله ، لقد حصل لي بطريق السمع والبصر والفكر والنظر حكم عجيبة وخواص غريبة فأحببت أن أقيدھا لتثبت ، وكرهت الذھول عنها مخافة أن تفلت . وانه ليوصي قارئ كتابه بادیء ذي بدء ، بأنه اذا اراد

أن يكون على ثقة مما فى كتابه ، فليشمر للتجربة ، وإياك أن تفتر أو تمل إذا لم تصب فى مرة أو مرتين ، فإذا ذلك قد يكون لفقد شرط أو حدوث مانع . فإذا رأيت مغناطيسا لا يجذب الحديد ، فلا تنكر خاصيته ، واصرف عنايتك الى البحث عن أحواله ، حتى يتضح لك أمره .

ولاشك أن القارىء لكتاب القزوينى « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات » انمسا يملكه الاكابر والاعجاب بدقة الملاحظة ، والبراعة فى العرض ، والسلامة فى الاستنتاج والاستقراء مما يؤيد رأى « روزنتال » فى علماء المسلمين ، من أن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو فى حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فانهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين ، حين يلاحظون ويحصون وحين يجمعون ويرتبون ماتعلموه من التجربة ، أو أخذوه من الرواية ، وبصفتهم أصخاب ملاحظة دقيقة ، وبصفتهم مفكرين مبدعين ، فانهم قد أتوا بأعمال رائعة فى كثير من العلوم والرياضيات والفلك .

وقد قدم القزوينى لكتابه بمقدمات أربع ، تعتبر دستورا رائعا لكل مشغل بالعلم عامة وبالعلوم الطبيعية بصفة خاصة ، فضلا عن الإشارة الجامعة فيها الى موضوعات الكتاب . قال : « لننظر الى الكواكب وكثرتها ، واختلاف ألوانها ، فان بعضها يميل الى الحمرة ، وبعضها يميل الى البياض ، وبعضها الى لون الرصاص ، ثم الى سسير الشمس وفلكها مدة سنة ، وطلوعها وغروبها كل يوم ،

لاختلاف الليل والنهار ، ومعرفة الأوقات ، وتمييز وقت
 المعاش عن وقت الاستراحة ، ثم الى جرم القمر ، وكيفية
 اكتسابه النور من الشمس ، لينوب عنها في الليل ،
 ثم الى امتلائه وانحماقه ، ثم الى كسوف الشمس وكسوف
 القمر ثم الى ما بين السماء والأرض من الشهب والفيوم
 والرمود والصواعق والأمطار والثلوج والرياح المختلفة
 المهاب . ولنتأمل السحاب الكثيف المظلم ، كيف اجتمع
 في جو صاف ، لا كدورة فيه ، وكيف حمل الماء وكيف
 تتلاعب به الرياح وتسوقه وترسله قطرات متفاصلة ،
 لاتدرك قطرة منها قطرة ، ليصيب وجه الأرض برفق ،
 فلو صب صبا لفسد الزرع ، بخشه وجه الأرض . ثم الى
 اختلاف الرياح ، فان منها ما يسوق السحب ، ومنها
 ما ينشرها ، ومنها ما يجمعها ، ومنها ما يعصرها ، ومنها
 ما يقتلع الأشجار ، ومنها ما يروى الزرع والثمار ،
 ومنها ما يجففها . ثم لننظر الى أنواع المعادن المودعة تحت
 الجبال ، منها ما ينطبع كالذهب ، والفضة والنحاس
 والحديد ، والرصاص ، ومنها ما لا ينطبع كالفيروز
 والياقوت ، والزبرجد ، وكيفية استخراجها وتنقيتها ،
 واتخاذ الحلي والآلات والأدوات منها ، ثم الى معادن الأرض ،
 كالنفط والقير والكبريت ، وأنواع النبسات وأصناف
 الفواكه ، ثم لننظر الى أصناف الحيوان وانقسامها الى
 ما يطير ويقوم ويمشي ، وانقسام الماشى الى ما يمشى على
 بطنه ، وما يمشى على رجليه ، وما يمشى على أربع ، والى

أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها كالنمل والعنكبوت والنحل ، وكيف تبني بيوتها ، وتجمع غذاءها . وادخارها القوت لوقت الشتاء ، وحذقها في هندستها . يقول القزويني : ان من يشاهد خلية النحل لتزداد حيرته عندما يعلم أنه من عمل النحل ، ومن حيث أن ذلك الحيوان الضعيف قد صنع هذه المسدسات المتساوية الأضلاع ، التي عجز عن مثلها المهندس الحاذق مع الفرجار والمسطرة ، ومن أين لها هذا الشمع الذي اتخذت منه بيوتها المتساوية ، التي لا تخالف بعضها بعضا كأنها أفرغت في قالب واحد ، ومن أين لها هذا العسل الذي أودعته فيها ذخيرة للشتاء ، وكيف عرفت أن الشتاء ياتيها ، وأنها تفقد فيه الغذاء ، وكيف اهتدت الى تغذية خزانة العسل بغشاء رقيق ليكون الشمع محيطة بالعسل من جميع جوانبه ، فلا ينشقه الهواء ولا يصيبه آفات .

وجعل القزويني يتابع الدعوة الى النظر في الأرض . وكيف كانت قرارا لصنوف المعادن والنبات والحيوان ، وأحكام أطرافها بالجبال الشامخات ، تمنعها أن تميد الى ابداع أو شال المياه ليخرج منها قليلا قليلا ، فتتميز منها العيون ، وتجرى منها الأنهار ، والى خلق اللؤلؤ في صدفة تحت الماء ، والى انبات المرجان في صميم الصخر تحت الماء .

ويتحدث القزويني في المقدمة الثانية عن تقسيم المخلوقات ، فيقول المخلوق ، كل ما هو غير الله سبحانه

وتعالى ، وهو اما أن يكون قائما بالذات أو قائما بالغير .
والقائم بالذات ، اما أن يكون متحيزا أى يشغل حيزا ،
او لم يكن ، فان كان متحيزا فهو الجسم ، وان لم يكن
فهو الجوهر الروحاني ، ثم يتكلم عن الادراك للكليات
والادراك للجزئيات ، وعن الأعراض المحسوسة بالحواس
الخمس ، فالمحسوسات بالقوة الباصرة كالأضواء والألوان ،
وبالقوة السامعة كالأصوات والحروف ، وبالقوة اللمسة
(كالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والثقيل والخفة)
والصلابة واللين والخشونة الملامسة ، وبالقوة الشامة
للطيب والنتن .

وفسر القزويني في مقدمته الثالثة لكتابه ما يقصده
بالغريب ، فقال هو كل أمر عجيب ، قليل الوقوع ،
مخالف لما لوف العادات ، ومعهود المشاهدات كمعجزات
الأنبياء ، كانشقاق القمر ، وانفلاق البحر ، وانقلاب العصا
ثعبانا ، وكون النار بردا وسلاما ، وإبراء الأكمه والأبرص ،
وأحياء الموتى ، ومنها الاصابة بالعين ، فان العائن اذا تعجب
من شئ كان تعجبه مهلكا للمتعجب منه بخاصية لنفسه
لا يوقف عليها . ومنها اختصاص بعض النفوس من الفطرة
بأمر غريب ، لا يوجد مثله لغيرها ، كما ذكر أن في الهند
قوما اذا اهتموا بشئ اعتزلوا عن الناس ، وصرفوا همتهم
إلى ذلك الشئ ، فيقع على وفق اهتمامهم . ومنها أمور
سماوية كانهضاض شهب يستضيء الجو منها ، وسقوط
جسم ثقيل من الجو أو سقوط ثلج أو برد في غير أوانه ،

ومنها صيرورة اليابس بحرا وصيرورة البحر يابسا ،
أو وقوع خسف بناحية من الأرض وخروج ماء أسود منها ،
ومنها الزلزلة أو ظهور نبت بأرض لا عهد للناس بوجوده
هناك ، ومنها تولد حيوان غريب الشكل لم ير مثله .

وتحدث القزويني في المقدمة الرابعة عن تقسيمه
الموجودات ، فقال ، إن كل موجود سوى الواحد سبحانه
مخلوق ، وأن احصاء الموجودات غير ممكن ، ولكنها منقسمة
إلى ما لا نعرف أصلها ، ولا يمكننا النظر فيها ، وإلى ما نعرف
جملها ولا نعرف تفصيلها ، وهي منقسمة إلى ما لا يدرك
بالبصر ، كالعرش ، والكرسي ، والملائكة ، والجن ،
والشياطين وغيرها فمحال النظر فيها . وأما المدركات
بالبصر ، كالسماوات والأرض ، وما بينهما مشاهد
بكواكبها وشمسها وقمرها ودورانها ، والأرض مشاهد
بما فيها من جبالها وبحارها وأنهارها ومعادنها ونباتها
وحيوانها . وما بين السماء والأرض وهواء الجو ، مدرك
بقيومها وأمطارها وثلوجها ورعودها وبروقها وصواعقها
وشهبها وعواصف أرباحها ، يقول فهذه أجناس
المشاهدات ، وكل جنس ينقسم إلى أنواع ، وكل نوع إلى
أصناف وهكذا .

وقد قسم القزويني كتابه إلى مقالات ، كل مقال
تشمل عدة فصول . وقسم الكون إلى علوى وسفلى ،
والأعلى عنى بالعلوى ، ما يتعلق بالسماء من كواكب وبروج
ومدارات ومجرات والشمس والقمر ، وتحدث عن كواكب

الزهرة والمريخ والمشتري وعطارد ، وزحل وعن كسوف الشمس وخسوف القمر ، قال عن القمر ، ان جرمه كثيف مظلم ، قابل للضياء الا القليل منه ، على ما يرى في ظاهره ، فالوجه الذى يواجه الشمس مضيء أبدا ، وفان فى خسوف القمر ، ان سببه توسط الأرض بينه وبين الشمس ، فيقع فى ظل الأرض ، ويبقى على سواده الأصلى فى منخسف ، وعلى الخسوف الكلى والخسوف الجزئى للقمر ، وربط القزوينى بين حركتى المد والجزر وبين تحركات للقمر ، قال اذا صار فى أفق من آفاق البحر ، أخذ مأؤه . فى المد مقبلا مع القمر ، ولا يزال كذلك الى أن يصير القمر فى وسط السماء ذلك الموضع ، فاذا صار هناك انتهى المد منتهاه ، فاذا انحط القمر من وسط سمائه جزر الماء ، ولا يزال كذلك راجعا الى أن يبلغ القمر مغربه ، فعند ذلك ينتهى الجزر منتهاه ، فاذا زال القمر من مغرب ذلك الموضع ، ابتدأ المد مرة ثانية . وهكذا فيكون كل يوم وليلة بمقدار مسير القمر فيها ، فى ذلك البحر مدان وجزران . كما ربط بين زيادة القمر ونقصانه وبين كثير من الظواهر والمظاهر عند الانسان والحيوان والأسماك والحشرات والأشججار والفواكه والرياحين ويقول ان هذا الأمر ظاهر عند أهل الطب ، وان ذاك معروف عند أهل الطب ، وان ذاك معروف عند أهل الفلاحة . . . وهكذا .

وقال عن المجرة ، هى البياض الذى يوجسد فى

السما ، وأن العرب تسميها أم النجوم ، لاجتماع النجوم فيها ، ويقول ان المنجمين سموا عطاردا منافقا لكونه مع السعد سعدا ، ومع النحس نحسا ، وسموا الزهرة السعد الأصغر لأنها فى السعادة دون المشترى ، وأضافوا اليها الطرب والسرور والبهو ، وعلل كسوف الشمس بأن القمر يكون حائلا بين الشمس وبين أبصارنا ، لأن جرم القمر كمد فيحجب ما وراءه ، لأن الخطوط الموهومة الشعاعية التى تخرج من أبصارنا متصلة بالبصر على هيئة مخروط رأسه نقطة البصر وقاعدته المبصر ، فإذا وقع جرم القمر فى وسط المخروط فتتكسف الشمس كلها ، وقد ينكسف بعضها اذا كان للقمر عرض ينحرف المخروط عن الشمس .

وتحدث عن أثر الشمس على الأحياء والانسحان والشجر والنبات ، والحركة اليومية للأزهار وأوراق النبات ، وتابع القزوينى حديثه عن الكواكب السبعة وذكر أبعادها وحجوم أجرامها ، ودورات أفلاكها وما الى ذلك من معلومات لها قيمتها الفلكية ، وهو دائم الاشارة الى أرصاد بطليموس الفلكى المشهور ، وتكلم عن الكواكب الثوابت ، وعن كوكبات الدب الأكبر ، والدب الأصغر والتنين وفيقاوس ، ولعوا والفكه ، والجاني ، والسلياق ، والدجاجة ، وذات الكرسي ، سياوس ، وممسك الأعنة ، والحدور والحية والسهم والعقاب ، والدلفين ، وقطعة الفرس ، والقوس الأعظم ، والمرأة المسلسلة ، والقرص

التام ، والمثلث ، والثور ، والأسد ، والعذراء ، والسرطان ،
والتوأمين والعقرب والميزان ، والجدي ، والدلو ، والسدكة .
والقيطس ، والحبار ، وغيرها ، وعدد كواكب كل كوكبه
وبين ما يتصل بها من اعتقادات وآراء .

وتكلم أبو عبد الله القزويني عن الزمان ، وعرفه
بأنه مقدار حركة الفلك ، وهذا على رأى أرسطاطاليس
وأصحابه ، وعند غيره مرور الأيام والليالي ، ويعرف اليوم
بأنه الزمان الذى بين طلوع الفجر وغروب الشمس
وأما الليل فهو الزمان الذى بين غروب الشمس وطلوع
الفجر ، ومجموعهما أربع وعشرون ساعة ، لا تزيد
ولا تنقص ، وكلما نقص من النهار زاد من الليل ، وكلما
نقص من الليل زاد من النهار . يقول وأطول ما يكون
النهار ، سابع عشر حزيران (يونية) ، فيكون النهار
خمس عشرة ساعة ، والليل تسع ساعات « وهو
أقصر ما يكون ، ثم يأخذ النهار فى النقصان ، والليل فى
الزيادة الى ثامن عشر أيلول (سبتمبر) . وكذلك تحدث
عن الأيام والشهور ، ثم انتقل الى الكلام عن الفصول
فقال عن الربيع ، يستوي الليل والنهار فى الأقاليم ويعتدل
الزما ويطيب الهواء ، ويهب النسيم ، وتذوب الثلوج ،
وتسيل الأودية ، وتمد الأنهار ، وتنبع العيون وتتألال
الزهور ويورق الشجر ، ويتفتح النوار ، ويخضر وجه
الأرض ، وتدر الضروع ، وتنتج الحيوانات ويطيب العشب
لأهل الزمان ، وبمثل ذلك تحدث عن الصيف والخريف
والشتاء

وعندما عالج القزويني الكائنات السفلية ، وهي المتصلة بالأرض ، بدأ بتعريف العناصر ، وقال انها أصل المولدات من نبات وحيوان ومعادن وتابع أرسطو وغيره في القول بأن العناصر أربعة ، وهي : النار والهواء والماء والتراب ، وقال انها تنقلب بعضها الى بعض ، فالهواء ينقلب ماء ، كما يشاهد في القطرات المجمعة على سطح الاناء ، سببه أن الهواء المحيط بالكون يصير باردا بسبب برودة الجمد فيصير ماء ، والماء ينقلب هواء كما يشاهد من البخارات الصاعدة بتأثير حرارة الشمس أو النار .

وتحدث القزويني عن النار والهواء والسحاب والرياح والأمطار ، فقال ان أصول الرياح أربعة وهي الشمال والجنوب والصباء والديبور ، قال وريح الشمال باردة ، لأنها آتية من منطقة لاتسامتها الشمس أصلا بل ولا تقترب منها ، والجنوب حارة رطبة ، لأن هبوبها من ناحية خط الاستواء : والجو مفرط هناك لأن الشمس تسامتها في السنة مرتين ، والصباء قريبة من الاعتدال ، وتكون مائلة الى البرودة في أول النهار والديبور تهب والشمس مدبرة عنها فلا تسخنها تصخين الصبا ، كما تهب في آخر النهار ، وعرف الزوبعة يلكها الريح التي تدور على نفسها شبه منارة .

وقال في تكوين السحاب ، ان الشمس اذا أشرقت على الماء ، حللت منه أجزاء لطيفة مائية تسمى بخارا فاذا ارتفع البخار في الهواء حتى يبرد الزمهرير ، تداخلت

أجزاءه فى بعضها البعض وتكون السحاب • ثم تحدث
عن الرعد والبرق ، والهالة وقوس قزح ، وعن البحر
والمحيطات والجبال والأنهار والعيون والآبار • وقال عن
البحار العظيمة ، انها بمثابة خلجان من البحر الأعظم
المحيط بجميع الأرض حتى أن المكشوف من البوادي
والجبال ، انما هى بمثابة جزيرة صغيرة فى بحر عظيم ،
وبقية الأرض مطمورة فى الماء • وقال نهر النيل ، ليس
فى الدنيا نهر مثله • يصب من الجنوب الى الشمال ،
ويد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ، ويزيد
بترتيب وينقص بترتيب ، وحدد طوله بمسيرة شهر فى
بلاد الاسلام ، وشهرين فى بلاد النوبة ، وأربعة أشهر فى
الصحراء انى ما خلف خط الاستواء •

يقول القزوينى مفرقا بين المطر ، والثلج والبرد
والضباب والطل والصقيع ، اذا كان الهواء دفيا وارتفع
البخار فى الغيوم ، وتراكت منه السحب ، طبقات بعضها
فوق بعض ، كما ترى فى أيام الربيع والخريف كأنها
جبال من قطن مندوف فاذا عرض لها برد الزمهرير ، من
فوق ، غلظ البخار ، وصار ماء ، وانضمت أجزاءها
فصارت قطرا ، عرض لها الثقل فأخذت تهوى من أعلى
السحاب ، وتلتئم القطرات الصغار بعضها الى بعض •
اذا أخرجت من أسفلها قطرا كبارا ، فان عرض لها برد

مفرط فى طريقها ، جمدت ، وصارت بردا قبل أن تبلغ الأرض ، وإن لم تبلغ الأبخرة الى الهواء البارد ، فإن كانت كثيرة صارت ضبابا وأن كانت قليلة وتكاثفت ببرد الليل ، ولم تجمد نزلت طلا ، وإن انجمدت نزلت صقيعا ، يقول وإن كان البرد مفرطا أجمده البخار فى الغيم ، وكان ذلك ثلجا ، لأن البرد يجمد الأجزاء المائية ، ويختلط بالأجزاء الهوائية وينزل برفق ولذلك لا يكون له وقع شديد مثل ما للمطر والبرد .

ويعلل حدوث الرياح بتموج الهواء وتحركه ، وأن الأدخنة التى تصعد من الأرض بتأثير الشمس إذا وصلت الى الطبقة الباردة ، إما أن ينكسر حرها ، وتقصد النزول فيموج بها الهواء وتحدث الريح ، وإن بقيت على حرارتها تصاعدت ثم تردّها الحركة الدورية الى أسفل فيموج بها الهواء وتحدث الريح ؛ يقول وربما يكون سبب الزوبعة التقاء ريحين مختلفي الهبوب ، فتمنع احدهما الأخرى عن الهبوب ، فتحدث بسبب ذلك ريح مستديرة تشبه منارة .

ويقول عن الهالة ، انها تحدث من أجزاء صقيالة صغيرة ، حدثت فى الجو ، وأحاطت بغيم رقيق لطيف ، لا يستر ما وراءه ، وانعكس من الأجزاء الصقيالة ، شعاع البصر الى القمر ، لأن ضوء البصر وغيره اذا وقع على الصقيال ينعكس الى الجسم الذى يكون وضعه من ذلك

الصقيل كوضع المضيء منه اذا كانت جهته مخالفة لجهة المضيء ، فسيرى ضوء القمر ولا يرى شكله ، لأن المرأة اذا كانت صغيرة لا يرى شكل المرثى فيها . بل ضوءه . فيؤدى كل واحد من تلك الأجزاء ضوء القمر ، فترى دائرة مضيئة هي الهالة . وأما قوس قزح ، فانما يكون اذا حدثت فى خلاف جهة الشمس أجزاء مائية شفافة صافية من نزول مطر أو بخار . وكانت الشمس قريبة من الأفق المقابل ، ووراء تلك الأجزاء جسم كثيف مثل جبل أو سحاب مظلم ، أو اذا استدبر الناظر الشمس . ونظر الى تلك الأجزاء صارت الشمس فى خلاف جهة الناظر ، فانعكس شعاع البصر من تلك الأجزاء الى الشمس لكونها صقيلة ، فالشمس دون الشكل ، فأدت ضوءا ، لكونها أجزاء صغيرة فكل واحد يؤدى ضوء الشمس دون شكلها . وسبب استدارة القوس وقوع الأشياء مستديرة ، بحيث لو جعلنا مركز جسم الشمس قطب دائرة على محيط فلکها ، لكانت تلك الأجزاء مسامتة تلك الدائرة . وتختلف ألوان القوس ، فنرى قسيسا بعضها أحمر وبعضها أخضر ، وبعضها أرجوانى ، وأغلب الأوقات لونها مركب من ثمانية ، وقد نرى فيها بعض الأوقات أصفر أيضا .

وعرض القزوينى للبحار ومياها وعجائبها ، فتكلم عن البحر المحيط والبحر الأبيض وبحر الصين وجزائره الكثيرة العجيبة ، منها جزيرة الراتج ووصف أشجارها

وورودها ناقلا عن محمد بن زكريا ، وجزيرة راسني ،
وجزيرة الوقواق وجزيرة البنان ، وأطوران ، ومن عجائب
هذه الجزائر طائر يسمى خرشنة أكبر من الحمام ،
وسمكة تزيد على ثلاثمائة ذراع ، وسلاحف استدارة كل
سلحفة عشرون ذراعا ، وسمكة « الأطم » وجهها كوجه
الخنزير ، وسمكة تلد وترضع ، وأخرى كخلفة البقر تلد
وترضع .

ثم انتقل أبو عبد الله إلى بحر الزنج وقال هو بحر
الهند بعينه وجعل يعدد جزائره وعجائبه مثل سمكة
المنشار ، وسمكة البال وغيرها .

وتكلم عن الحيوانات المائية ، فقال منها ما ليس له
رئة منها ماله رئة ، وإن لكل حيوان أعضاء مشاكلة لبدنه
ومفاصل مناسبة لحركاته ، وجلودا صالحة لوقايتيه ،
فجعل أبدان حيوان الماء ، أما صدفية صلبة ، لا يعمل
فيها الشيء الحاد ، أو فلوسية أو ما شاكلهما غطاء ووقاية
وجعل لبعضها أجنحة وأذنا ، تسبح بها في الماء ، كما
يطير الطائر في الهواء ، وجعل بعضها آكلا وبعضها
ماكولا وجعل نسل المأكول أكثر لبقاء أشخاصها ، ثم ذكر
بعض حيوان الماء وعجائبه وخواصه على ترتيب حروف
المعجم ، واستشهد بآراء الشيخ الرئيس الرازي وغيرهما
فذكر أرنب البحر ، والبس ، وإنسان الماء والبال والتمساح
والتنين والدلفين وقال إنه حيوان مبارك ، إذا رآه أصحاب

الراكب استشروا ، وذلك انه اذا رأى غريقا فى البحر ساقه نحو الساحل ، وربما دخل تحته وحمله الى الساحل .
مباركة ، يحبها البحريون ، والصيادون ، والسرطان حيوان والرعاد سمكة صغيرة مخدرة جدا ، والدامور - سمكة مباركة ، يحبها البحريون والصيادون ، والسرطان حيوان لا رأس له وعينه على قفاه ، وفمه على صدره وله ثمانية أرجل ولمكانه بابان أحدهما الى الماء ، والآخر الى اليابس ، والسقنقور ، قال ابن سينا انه وزل مائى يصطاد من نيل مصر ، وقال غيره انه من نسل التمساح ، وذكر فى خصائصه عجبا والسلحفاة حيوان برى وبحرى وهو ما نسميه الآن برمائى قال قد تكون عظيمة جدا حتى يظنها أصحاب المراكب جزيرة ، وفرس الماء وكلب الماء والقاطوس والقطا والكوسج وغير ذلك كثير جدا من حيوانات البحر وأسماكه .

ثم عاد أبو عبد الله الى وصف الأرض ، وذكر اختلاف آراء القدماء فى هيئتها ، واستدارتها ودورانها وعرض لآراء فيثاغورس فى هذا الشأن ، ويقول انها فى فلكها مستوية الجذب من جميع الجهات ، وكيف أن خط الاستواء يقسمها الى نصفين ، أحدهما شمائى والآخر جنوبى ، وقسم كلا منهما الى أقاليم منه المعمور وغير المعمور لفرط البرد مثلا ، وقال ان هذه الأقسام ليست طبيعية ولكنها وهمية وضعها الملوك الأولون الذين طافوا بالربع المسكون من

الأرض ليعلم بها حدود البلدان مثل أفريدون والاسكندر
وأردشير .

وتكلم عن الزلازل فقال ان سببها الأدخنة والأبخرة
التي اذا اجتمعت تحت وجه الأرض الصلب لا يكون فيه
منافذ ومسام ، فاذا قصدت البخارات الصعود ، ولا تجد
المنافذ والمسام ، نهتز منها بقاع الأرض وتضطرب كما
يضطرب بدن المحموم ، عند شدة الحمى ، وربما ينشق
ظاهر الأرض ، ويخرج من الشق تلك المواد المحتبسة
دفعة واحدة .

وأسهب أبو عبد الله في ذكر فوائد الجبال ، وقال
انها رواسى وأوتاد ، وقال ان وجودها يحصر البخار المرتفع
من أغوار الأرض ، ويمنع الرياح أن تسوقها ، الى أن تبرد
فينزل مطرا وثلجا ، قال والجبال فى أجرامها مغارات
وأهوية وأوعال وكهوف ، تقع على قلالها الأمطار والثلوج ،
وينصب الى تلك المغارات والأوشال ، وتبقى فيها مخزونة ،
وتخرج من أسافلها من منافذ ضيقة هى العيون ، تسبيح
منها العيون على وجه الأرض ، فينتفع بها النبات والحيوان
والباقي ينصب الى البحار ، ثم ذكر الجبال الشهيرة رتبها
على حروف المعجم ، وتحدث عن مواضعها وارتفاعاتها
ونباتها وحيوانها ومعادنها منها جبال الشان وأبى قبيس .
وأروند وأسيرة وألتر ، واندلس وهجنسة والبرانس .

ونيسون ، ونير ، حراب ، جوش ، الحارث ، وحرا
والحيات ، ونهاوند ، ورحنوى ، والرقسم ، وزغوان
وسيلان ، والسراة ، والسماق وشيام الصور والصفا
وشكران ، وصقلية ، وطورسينا والطير ، وقاسسيون ،
وفدغد وهرمز وواسط .

كذلك ذكر الأنهار وخواصها وأطولها وما تمر به
من بلاد ، وقد رتبها كذلك على حروف المعجم ذكر منها أتل
وأذربيجان وأسفار وآنه ، وجيحون ، وحسين المهدي ،
ودجلة ، والذهب ، والرس وزور وشاف ، وصقلاب ،
والعاصي ، والفرات ، والكر والملك ومهران والنيل ، وذكر
قصة عروس النيل وعمرو بن العاص ومنعه إياهم من
قذفها ، ثم سؤاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وتوكيده
له أن هذا لا يكون فى الاسلام .

ثم نحدث عن العيون والآبار وعن كيفية تجفيف
مياهاها فى باطن الأرض ، ثم انبثاقها بذاتها أو منحها
والأوى عين والثانية بئر وأن منها حارة وباردة وعفصية
وشببية وكبريتية ، ثم سرد عددا من العيون والآبار ونبها
على حروف المعجم وذكر بعض خواص مياهاها وما يروى عن
بعضها من غرائب ، وما لبعضها الآخر من صفات علاجية
مثل عيون أذربيجان وباميان وجاج ، ووادان ، وجبل ملطبة
ورأس الناعور ونهاوند وزعر وشعيرم وطبرية والعقاب ،

وغرناطة وعرنة ، والفترات وقراور والمشقف ومنكور
وهرماس وذكر من الآبار بشر أبى كنود وبابل وبدر وبنحن
وقنصورة ، وجندق ، ودماوند ، وذروان ، زمزم ، وعزوة ،
وغرس الكلب والمطرية ، فى قرية من قرى مصر ،
ونيسابور ، وهنديان ، ويوسف الصديق وغيرها .

ثم تصدى أبو عبد الله - كما يقول - للنظر فى
الكائنات وهى الأجسام المتولدة من الأمهات ، وهى اما أن
تكون نافية أو لم تكن وهى المعدنيات ، وان كانت نافية ،
فاما أن تكون لها قوة الحس والحركة أو لم تكن فهى
النبات ، وان كانت فهى الحيوانات ، يقول فأول مراتب
هذه الكائنات تراب وآخرها نفس ملكية طاهرة ، فالمعادن
متصلة أولها بالتراب أو الماء ، وآخرها بالنبات ، والنبات
متصل أوله بالمعادن وآخره بالحيوان ، والحيوان متصل
أوله بالنبات وآخره بالانسان ، والنفوس الانسانية
متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية ، ومثل
هذا الترتيب ذكره ابن مسكويه وابن خلدون وغيرهما .

وكلامه فى المعدنيات ، نادى به قدامى الكيمائيين من
أمثال جابر والرازى ، قال هى أجسام متولدة من الأبخرة
والأدخنة تحت الأرض ، اذا اختلطت على ضروب من

لاختلاطات مختلفة ، في الكم والكيف ، وهي اما قوية
لتركيب او ضعيفة التركيب ، وقوية التركيب اما ان
تكون متطرفة ، او غير متطرفة ، وهي الاجساد السبعة ،
لذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والاسرب
الخارصين ، والتي لا تكون متطرفة قد تكون في غاية
للين كالزئبق ، وقد تكون في غاية الصلابة كالياقوت ،
التي تكون في غاية الصلابة قد تنحل بالرطوبات كالزرنبيخ
الكبريت ، والانسام اما تتولد من اختلاط الزئبق
الكبريت على اختلاف في الكم والكيف ، وقال عن
لاجساد السبعة هي الفلزات ، ثم تكلم عن خواصها واحدا
احدا ، ثم تكلم عن الاحجار المختلفة ، من ائمه واسفيداج
البورق وتدمر وتوتيا وجزع واسمر انجوني وابيض
احمر واخضر واسود وانغير وحجر البحر ، والحصاة
الخطاف ، والسم ، والسامور ، والقار ، والعاج ، والقمر ،
المطر والكلب ، وحجر دهنج ، وحجر در وحجر الزجاج
حجر الزئجفر ، وحجر طلق ، وعقيق ، وعنبري وعطاس ،
حجر قلطار ، وقلقديس ، وفيهار ، وفيلفوس ، حجر
لي يتخذ من الاشنان بان يحرق حتى يصير رمادا
لازورد ، وحجر كهربا ، ومعناه جاذب التبن والهشيم ،
هو صمغ شجر الجوز الرومي وحجر لاقط الرصاص
لاقط الذهب ، ولاقط الشعر والماس وحجر مغناطيس
حجر مرجان ، ونطرون وياقوت ويشب ، ويقطسان ،

وغيرها ، وقد أسرف أو عبد الله في ذكر خواص هذه
الأحجار ومنافعها في علاج كثير من الأمراض وكان كثير
الاستشهاد بآراء أرسطو وجالينوس .

ثم انتقل الى الكلام عن النبات ، فقال انه متوسط
بين المعادن والحيوان بمعنى أنه خارج عن نقصان الجمادية
الصرفة التي للمعادن وغير واصل الى كامل الحس والحركة
اللتين اختص بهما الحيوان وقسم النبات الى قسمين شجر
ونجم ، فالشجر ماله ساق وهو بمثابة الحيوانات العظام ،
والنجم بمثابة الحيوانات الصغار ، ثم تكلم عن الأشجار
مرتبة على حروف المعجم ، فذكر الأبنوس وخشبه صلب
جدا ، والآس ، والاترج والاجاص ، وأزورخت ، وأم غيلان
وهي شجرة من عضاة البادية كثيرة الشوك ، والبان ،
حبها أكبر من الحمص مائل الى البياض ، طيب الرائحة
وله لب دهني ، قال ابن سسينا انه ينفع من البرص
والكلف والبهق ، والبطم ثمرتها الحبة الخضراء ، والبلسان
شجرة توجد بمصر دون غيرها في عين شمس وذكر لدهنها
منافع طبية كثيرة ، والبلوط والتفاح والتنوب والتوت
والتين والجميز والجوز وخسرودار ، شجرة عظيمة جدا

خشبها خولنجان ، والخرور والخلاف شجرة الصفصاف
خشبها خفيف جدا ، والخوخ والدردار ، والدلب مسر
أعظم الأشجار وأعلاها وأبقاما ، اذ طالت مدتها تفتت
جوفها وتبقى ساقها مجوفة ، والرمان والزيتون والسرور
والسفرجل والشاهبلوط ، والصندل والصنوبر والضرور
والطرفا ، العرعر العشر والعفص والعناب ، والغيراء ،
والغرب والفسق ، والفلفل ، والقرنفل ، والقصب ،
والكافور ، والكرم ، والكمثرى واللبنان ، واللوز ،
والليمون ، والموز ، والنبق ، والنخل ، والورد والياسمين
٠٠ وقد اختط القزويني لنفسه خطة لم يحد عنها في
وصف هذه الأشجار والنباتات ، فبعد أن يذكرهم ما يميز
النبات يعرف فوائده الطبية ناقلا عن ابن سينا أو غيره ،
وكثيرا ما يورد بعض القصص الذي يؤيد ما يذهب إليه من
آراء ، ولا مراء في أن الفوائد الطبية التي ذكرها يحتاج
بعضها الى التجريب ليثبت نفعه أو يهمل أمره .

ثم تحدث عن القسم الثاني من النبات وهو النجوم
وقال النجم كل نبات ليس له ساق صلب مرتفع مثل
الزروع والبقول والرياحين والحشائش ، ثم أورد لها مرتبة

على حروف المعجم ، وقد اهتم فيها كذلك بالفوائد الطبية ،
أكثر من اهتمامه بالصفة النباتية ، فذكر آذان الفار ،
والأذريون ، والأذخر ، والأرز ، والاسفاناج والاستقيل وهو
يصل الفار والاشترغار والاشنان وهو العرض الذي
يفسل به ، والافنتين والاقحوان والبابونج والباردنجويه ،
والبادروج ، والبنفسج والبهار والبিশ والترمس والثوم
والجاورس وهو الدخن والجرجير ، والجزر والحرف وهو
حب الرشاد والحشيش الحمرل والحسك والحلبة
والحمص والحنظل والحنطة والخبازي والخريق والخردل
والخس والخشخاش ، قال وعصارة المصرى منه تسمى
أفيونا والحطمي والخيسار والخيري والدفل والرازيانج
الرياس والريحان والزعفران والساذج والسذاب ،
والسلق والسوسن والسنبل والسوسن والشبث وشجر
حريم والشعير وشقائق النعمان والشلجم والثونيز والشيلم
والشيع والصعتر ، والطرخون وعدس وعنب الثعلب ،
والفجل والعرفج وقاتل الذئب والقتاد والقشياء والقنب
والقنبيط والقيصوم والكراث والكتان والكرسنة والكرأوية
والكزبرة واللباب ولسان الحمل واللصف واللوبيسا
والنيلوفر والتاردين ونانخواء ونرجس ونسرين ، ونعنع

وهليون وهندبا وورس ويقطين وهو القرع ، وقد نسب
القزيني الفوائد الطبية لابن سينا والرازي وغيرهما .

وعندما انتقل أبو عبد الله إلى الكلام عن الحيوان ،
قال انه في المرتبة الثالثة بعد المعادن الباقية على الجمادية
والنبات المتوسط بين المعادن والحيوان بحصول النشور
والنمو وفوات الحس والحركة ، أما المرتبة الثالثة فهي
للحيوان الذي جمع بين النشور والنمو والحس والحركة .

وقد خالف القزويني بعض من تقدموه من العلماء
العرب في عدم ذكر الأشعار التي وردت في وصف هذا
النبات أو ذلك الحيوان ، أو على الأقل لم يذكر الكثير
منها ، وإنما كانت دراساته وملاحظاته دراسات عالم أكثر
منها دراسات أديب ، فضلا عن أنه جامع معلومات وخاصة
الطبية ، والوصفات ، فهذا فيه جلاء للبصر ، وذاك مدر
أو مقو أو ما أشبه من توصيفات ، ينسبها أغلب الأمر إلى
ما نقل عنهم أو حكى له منهم ، وفي كثير من الأحيان كان
يتبع هذه الوصفات بأن يقص حكاية تؤيد ما يذهب إليه
أو لعله يريد بها أن يؤيد ما ذهب إليه لدى قارئه .

وعلى هذا النحو من لطف فى السرد ، ودقة فى الاستقراء والوصف ، عالج القزوينى الانسان ، ووصف أعضائه عضواً عضواً ، وصف الغضاريف والأعصاب وورثة وقلب وكبد وطحال وسرارة ومعدة وكلية ومثانة ، والشرايين والأوردة ، والجلد والأعضاء الداخلية من دماغ وكذا الأعضاء الخارجية من رأس وعين وأذن وأنف وفم ولسان وأسنان وغيرها .

ثم انتقل القزوينى الى وصف الحيوان ، وقال ان آذانها خلقت فوق رأسها ، ذات حركات شتى ، لتحاذى بالثقب جهات شتى ، ويرد الهواء اليها فتكون فائدة السبح أكثر ، وعلل صغر أذن الفرس ، وكبر أذن الحمار بأن الأول أذكى حساً ، فيكفه من قرع الهواء دون ما يكتفى الحمار لصفاء حس الفرس ، وكدورة حس الحمار ، وكذلك طول ذنب الأول ، لأن احساسه بلذع الهوام فوق احساس الحمار ، فجعل طاقات ذنبه طويلة ، ليطرده بها الهوام عن بدنه ، يقول ولما كان المطلوب من الدواب السير صلبت حوافرها ، ليتمكن المشى الكثير عليها ، وليكون سسلاحاً دافعاً للعدو ، فان كل حيوان له حافر لا قرن له لأن المادة

لا تفى بهما جميعا ، وكل حيوان له قرن لا حافر له ، بل له ظلف ، ثم ذكر الدواب مبتدئا بالفرس ، قال أحسن الحيوانات شكلا بعد الانسان وأرشد الدواب عدوا وذكاء وله خصال حميدة ، وأخلاق مرضية ، وله صفاء اللون وحسن الصورة وتناسب الأعضاء ، والبغل متولد من فرس وحمار ، ان كان الذكر حمارا فشديد الشبه بالفرس ، وان الذكر فرسا فشديد الشبه بالحمار ، ليس له ذكاء الفرس ولا بلادة الحمار ، وكذلك مسوته ومشيه بين الفرس والحمار ، ولا شك في عقمها ، والحمار حيوان خدر الأعضاء كدر القوى الا الحافظة فانه اذا مشى بطريق لا ينساه بعد ذلك ، ثم ذكر من الحيوانات النعم وقال ان هذا النوع شديد الانقياد ، ليس له شراسة الدواب ولا نفرة السباع ومن شأنها الصبر على التعب والجوع والعطش والثبات ، قال عن « الابل » حيوان عظيم الجسم شديد الانقياد ، ينهض بالحمل ويبرك به ، تأخذ بزمامه فارة وتقوده الى حيث شاءت ويتخذ على ظهره بيت يقعد الانسان فيه ، مع مأكوله ومشروبه وملبوسه ، والوسادة والملحفة والنمرقة ، كما في بيتسه ، ويتخذ للبيت سقف ، وهو يمشى يكل هذا ، وربما يصبر على

الماء عشرة أيام ، وانمسا طولت رقبته ليستعين بها على النهوض ، بالحمل الثقيل وينسل الأرض يرمى منها ، لتكون الرقبة مناسبة للقوائم ولينبلغ مشفره سائر جسده يحكه به وكذلك تحدث عن البقر واليقر الوحش والجاموس والزرافة والضأن والمز والظبي والابل وغيرها ، وأنه ليتبع كل حيوان بفصل مستقل عن خواص أجزائه ، ويسرد المنافع الطبية والوصفات العلاجية لبعض أعضاء هذا الحيوان أو ذاك .

ثم انتقل الى نوع آخر من الحيوان هو السباع ذكرها أيضا مرتبة على حروف المعجم بدأ بآبن آوى ثم ابن عرس والأرنب والأسد وهو أشد السباع قوة وأكثرها جرأة وأعظمها هيبة وأهولها صورة ، لأنه لا يهساب شيئا من الحيوان ، ولا يوجد حيوان له شدة بطشه ، لا يأكل من صيد غيره ، والبير حيوان هندي أقوى من الأسد والثعلب والخنزير والدب والدلق والذئب والساد حيوان على صفة الفيل الا أنه أصغر منه جثة ، وأعظم من الثور وللسنجب والسنور وسنور البر ، والسرباس والضبع وفالا ، والفهد والفيل حيوان طريف بهى نبيل رشيق والقرد والكوكدن...

والكلب ، حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ، دائم الجوع
والسهر يخدم كثيرا ويدفع اللصوص ، قال الجاحظ من
ذكاء الكلب ، أنه اذا اتبع الطباء يعرف التيس من العنز ،
يتشسم مواضع الصيد والنمر ، والنامور حيوان وحشى
نفور له قرنان كالمنشارين ، وربما تشعب قرناه .

ثم تحدث عن الطير ، آلاتها أجنحتها ، ومن العجيب
أن طيران الطير فى الهواء ، وعدم سقوطه والهواء أخف
منه ، وهو أثقل منه ، فلما اقتضت هذه الآلة خفة الجناح
والجثة نقص منها أعضاء كثيرة توجسد فى غيرها من
الحيوانات التى تلد وترضع ، ويخف عليها النهوض
ويسهل الطيران كالأسنان والأذان والكرش والجلد
التخين ، واذا تأملت خلقة الطير وجدت نسبة قدامه الى
أسفله كنسبة يمينه الى شماله ، فان كان طويل الرقبة
تطول أيضا رجلاه ، واذا قصرت رقبته قصرت رجلاه ،
قال الجاحظ كل طائر جيد الجناح يكون ضعيف الرجلين
كالزراير والمصافير ، ومن الطيور ما أعطى العجب فى
لونه كالطاووس والبيضاء والنعام وأبى براقش ،
ومنها ما أعطى فى خلقه كالحمام ، ومنها ما أعطى فى
حنجرته كالبلابل والقناير ، ومنها ما أعطيت العجب فى

تركيب أعضائها كالديكة واللقاق والكراكي والنعام ومنها ما أعطى في صفته كالخطاسف واليقوط القنبرة ثم أورد القزويني طائفة من الطيور رتبها على حروف المعجم وذكر أهم صفاتها ومميزاتها وإذا استعصى عليه ذكر بعض الخواص قال لم يحضرني شيء من خواصه فأورد (أبو براقش) طائر حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار ، في حجم اللقلق يتلون بالأحمر والأخضر والأزرق والأصفر ، و (أبو هارون) طير في حنجرتة أصوات مليحة شجية ، يفوق النوائح ويروق كل معنى ، لا يسكت بالليل البتة ، ويصيح اى وقت الصباح ، والأوز والبازي ، أشد الجوارح تكبرا وأضيقتها خلقا ثم ذكر الباشق وهو أصغر الجوارح جثة والبغاء ، حسن اللون جدا ، والشكل ، أكثرها أخضر اللون وقد يكون أحمر وأصفر وأبيض ، ومنقاره عريض ولسانه كذلك ، يسمع كلام الناس ويعيده ، إذا أرادوا تعليمها وضعوا مرآة في قفصها ويتكلم أحد خلف المرآة فتعيد ما تسمع وتعلم سريعا ، والبلبل كثير الألحان ، والبوم ذليل بالنهار ولكن بالليل لا يقدر عليه شيء من الطيور و « الحباري » قالوا ما في الطيور أشد بلها منها ، لأنها تترك بيضها وتحتضن بيض غيرها والحدأة - طائر خسيس يغلبه

أكثر الطيور ، والحمام هو الطير المشهور الهادى الى أوطانه
من المسافة البعيدة ، وهو أشد الطيور ذكاء ، فاذا أرسل
من موضع بعيد يصعد نحو الهواء ، ويكون صعوده مدورا ،
فلا يزال يصعد وينظر حتى يرى شيئا من علامات بلده ،
والخطاف طائر يتبع الربيع وذكر الخفاش بين الطيور
وقال ان بصره ضعيف يسوءه شعاع الشمس ، يشبه
الفأر ، جناحه جلدة رقيقة ، وله أسنان وللأنثى ثدى كما
للفأر يرضع ولده ، والديك يقول انه أكثر الطيور شهوة
وعجبا بنفسه ، يبشر بطلوع الفجر ، والدراج طير مبارك
كثير النتاج محذب الظهر مبشر بالربيع ، والدجاجة
والرخمة والزاغ ، والزرزور ، والزميج والسمانى ، والصقر
والشاهين ، والشفنتين ، الشقراق والصاف ، والطاووس ،
والطهوج والعصفور والعقاب والعقعق والغراب والخرنيق ،
من طيور الماء القواطع والغواص والفاخته والقبج والقنبرة
والقمبرى والقوقيس والكركى والكروان والقلق ومالك
الحزين والمكاء ، والنمر سيد الطيور ، والنعامة والهدهد
والوطواط والبراغة .

وقد تناول القزوينى كل طير فى فصل خاص .
يذكر فيه خواص أجزائه ، وما أظنه جرب هذه الخواص .

ولعله شائع العامة في ذكر بعضها ، وأن أيد كلامه في
بعض الأحوال بنسبة إلى علماء سابقين ، ولسنا ندعو إلى
تجريب ما قاله في العصر الحديث ، فهذا يستقى لمن يعربد
في سكره فيتأدب ، وذاك مرارته تطعم للصبي فيحسن
خلقه ، وهذا عظمه يعلق على الصبي فيبقى محبوبا ، وذاك
رماده يزيل بياض العين وهذا يكتحل به فيزيد في حدة
البصر ، وهذا مرارته تزيل الغشاوة والظلمة من العين
اكتمالا ، وذاك مرارته تقطر في الأذن تزيل الطرش وهذا
الطير لسانه يزيل العطش ، وذاك مرارته يسعط بها فتحد
البصر ، وهذا كبده يشوى ويطعم للصبي يأمن الصرع ،
إلى غير ذلك من الوصفات الكثيرة التي تتخلل كتابه ولا أظن
أن قد قام على صحتها دليل ، ولا أظن القزويني قد قام
باجراء كل هذه التجارب ، وكذلك فعل القزويني بالنبات ،
فهذا خشبه ينفع في كذا ، وهذا دخانه يصلح كذا أي غير
ذلك من الوصفات التي رأيت أن أعفى القارىء من ذكرها ،
واكتفيت بسرد عينة منها .

ثم عرض القزويني لنوع آخر من الحيوان أسماؤه
الهوام والحشرات ، قال انه لا يمكن ضبط أصنافه لكثرتة ،
وبين رأيه في حكمة الخالق في وجودها ، ثم ذكر بعضا

منها مرتبة على حروف المعجم ، كالأرضة والأفعى والبرغوث
 والبعوض ، وقال انه على هيئة الفيل ، وكل عضو خلق
 للفيل فللبعوض مثله مع زيادة جناحين ، والنعبان ونقل
 عن ابن سينا قوله أصغر أصنافها على ما ذكر خمسة أذرع .
 وأما الكبار فمن ثلاثين ذراعا الى ما فوق ، والجراد
 والحرباء ، والحلزون ، والحية ، والخراطين والخنفساء
 ودود القز ، وديك الجن والذباب والرتيلا ، وهي دويبة
 تشبه العنكبوت والزنبور وسام أبرص ، والسلحفاة ،
 وهي حيوان برى بحرى أو كما نقل اليوم برمائى
 والصناجة والضب والظربان والعقرب والعنكبوت والفأر ،
 والفراش والفسافس والقمل والقنفذ والنحل والنمل
 والورل - ويتابع القروينى ذكر خواص بعض الأعضاء
 أو الأجزاء من كل هذه الهوام والحشرات التى ذكرها ،
 فيقول هذا دمه يكتحل به يحد البصر ، وهذا قلبه يورث
 الشجاعة ، وذاك يزيل الحمى ، وغيره يقوى البدن . . الى
 غير ذلك من الوصفات التى رأيت أن أعفى القارىء منها ،
 فأغلبها لم يقدّر عليه دليل فاما انه شائع العامة فى
 اعتقاداتها ، أو أنه حكى حكايات ليست يقينية ، ومبلغ
 يقينه فى بعض الحالات أن ينسب الى ابن سينا أو الرازى
 أو غيرهما بعض هذه الوصفات .

ثم اختتم أبو عبد الله كتابه بخاتمة خصصها
لحيوانات عجيبة الأشكال ذكر بعضها في أقسام ثلاثة
مثل ياجوج وماجوج ، وأمة بجزيرة الزنج ، وأمة بجزيرة
الرامنى فيؤلاء رؤوسهم رؤوس الناس ، وأبدانهم أبدان
الحيات ، وآخرون وجوههم وجوه الناس وظهورهم ظهور
السلحفاة . وكلها روايات يعوزها الدليل والمشاهدة
الحسية ، وفي قسم ثان تكلم عن حيوانات مركبة من
حيوانين مختلفين كالبغل من الفرس والحمار وآخر بين
الذئب والضبغ ، يقال له السمع ، وثالث بين الكلب
والذئب يقال له الديسم ، وفي القسم الثالث تكلم عن
العمالقة والأقزام .

وبعد ، فهذا عرض سريع موجز لكتابات عجائب
المخلوقات وغرائب الموجودات ، كما كتبه أبو عبد الله
ذكرى بن محمد بن محمود القزويني ، وقد لفت هذا الكتاب
انظار طلاب العلم في الشرق والغرب على السواء ، لوقرة
مادنه وسلاسته في العرض ، وقد طبع على هامش كتاب
حياة الحيوان للدميري ، ثم أعيد طبعه عدة مرات . كما
ترجم الى الفارسية والى الألمانية وطبع في ليبزج ، كذلك

ترجم الى الفرنسية ، وطبع فى باريس فى أوائل القرن
الماضى ، كما ترجم الى اللغة التركية ونشر بها منذ حين ،
وتوجد نسخ خطية من كتابه فى دار الكتب الشهيرة فى
العالم . وقد اهتم المستشرقون بدراسة أعمال القزوينى
واضافاته الى علوم الفلك والنبات والحيوان والجيولوجيا .

وللقزوينى كتب أخرى لا تقل روعة عن كتاب
عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات منها آثار البلاد ،
وأخبار العباد ، يتناول علم الفلك وبعض الأحداث
التاريخية ، وكتاب آخر يشبه خطط المقرئى فيه وصف
رائع للقاهرة .

أحسب أن هذه الخلاصة الوافية والعرض الموجز
لكتاب أبى عبد الله القزوينى ، تعطى القارئ فكرة عن
طريقة عالمنا العربى فى البحث ، ومنهاجه فى التأليف
والسرد ، وتدلنا على افتنان العلماء المسلمين بالمعسرفة
الموسوعية ، فيجمع العالم فى كتاب واحد أششتاتا من
المعارف عن البحار والجبال والأنهار والكواكب والكوكبات
والأسماك والحيوانات والنباتات والهوام والطيور ،

ولا تفوته الناحية الطبية فى كل ما يذكر من معلومات
وهى ألوان من المعرفة تدلنا على أن عالمنا العربى كان واسع
الاطلاع شامل المعرفة مما يجعله بحق أحد العلماء العرب
الذين يمتاز بهم على مر العصور والدهور .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٥/٤٩٤٠

ISBN — 977 — 01 — 4411 — 8

مكتبة الأمانة



بسعر رمزي

خمسة وعشرون قرشا

بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

